الفصل الثاني

الشعر الفلسطيني قبل فترة البحث

قدمنا في الفصل السابق صورة مختصرة عن الحياة الثقافية في فلسطين، وعرفنا أن الظلام الكثيف والجهل الواسع والظلم الكبير والجمود المتواصل كانت سمات بارزة للعهد العثماني الذي وصف بعصر الظلمات والتأخر والانحطاط، حيث قلّت في بلادنا المدارس الإعدادية والثانوية والجامعات، حتى إن المدارس الابتدائية «الكتاتيب» كانت تعلّم تلامذتها باللغة الرسمية للدولة، وهي اللغة التركية، وكانت تذهب معظم دعوات الإصلاح أدراج الرّياح.

وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي كان المسجد الأقصى في القدس مركزاً مهمّاً من مراكز نشر العلوم الدينية والأدبية، مثل القراءة والقرآن والتفسير والفقه، وعلوم اللغة مثل النحو والصرف وغير ذلك. وكان الأزهر بمصر يمدّ هذا المركز الديني بالشيوخ، ويعدّ أبناءه ليعودوا إليه مدرّسين وقرّاء.

ولم يتيسّر للبلاد مدارس غير مدارس الحكومة العثمانية والمدارس الأجنبية، وكان يشرف على كل فئة منهما الشيوخ ورجال الدين المسيحي، وعلى الأمّة أن ترضى بهذا وتكون من الشاكرين، فضلاً عن النظام الإقطاعي الذي كان يشكّل إطاراً اقتصادياً وسياسياً، بينما كان المحتوى الديني يتشكّل بأشكال هذا الإطار.

ويصف ناصر الدين الأسد هذه الحالة بقوله: «كان من الطبيعي أن يسير

الشعر في آخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، على النهج الذي سار عليه الأدب عامة آنئذ، وأن يكون انقطاع صلته بالشعر العربي القديم العريق، وجهل الشعراء بالشعر الأوروبي والاتجاهات الشعرية والحركات الفنية المختلفة، وجريهم على المسالك التي عبّدها لهم شعراء العصور المتأخرة، وبلادة الحياة من حولهم، وضعف استجابتهم للحوادث التي تصطرع من بين أيديهم ـ كان من الطبيعي أن تشوّه هذه العوامل جميعها صورة الشعر ومضمونه، وتحيله نثراً منظوماً أشبه ما يكون بنظم الفقهاء والنحاة حين يصبّون قواعدهم في ما عرفوه من بحور مقفّاة»[1].

ترك هذا كلّه تأثيراً في الحياة الأدبية في ذلك الوقت، غير أن صلة الشعر بالبشر لم تنقطع في عصر من العصور، لكنها جعلت معظم ذلك هزيل المبنى مألوف المعنى، يخوض في موضوعات بسيطة، لا يحلّق في الآفاق، ولا يبلغ درجة النضوج والكمال.

إذاً لقد اصطبغ النتاج الشعري بظروف هذا العصر، وهذا أمر طبيعي، فهو امتداد للتيار القديم الذي عرفته الحياة العربية، بعد أن تركمت في مجراه حجارة العصور المتأخرة، إلاّ أنّ البذور الصالحة للغرس والنمو والإثمار بدأت تجد ظروفاً أفضل في أواخر هذا العهد الذي كانت القيم الدينية تثقله بصورة عادية بسيطة، وبات من الواجب أن نَعُدَّ الذين غرسوا ـ منذ منتصف القرن التاسع عشر ـ بذور النهضة التي لم تنشأ فجأة من دون تمهيد، منارات هادية ومؤسسة لصرح النهضة الحديثة.

يقول عبد الرحمن ياغي: «ليس من الغريب أن نجد الشعر في هذا العصر لا يصدر إلا عن رجال الدين سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين في معظمه، وأن يكون روّادنا الأول في نهضتنا الشعرية والأدبية في أكثرهم من

(١) الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، ص ١١٥.

بين الشيوخ أو رجال الدين الإسلامي، ومن بين القسّيسين أو رجال الدين المسيحي، وأن يكون المضمون مثقلاً بتلك القيم الدينية التي كان يروّجها الإقطاع في تلك الفترة الزمنية من سلطات الأتراك العثمانيين[١].

فالمتخرجون في الأزهر الشريف والمسجد الأقصى وغيرهما كانوا يتقلّدون المناصب الدينية من قضاء وافتاء وتدريس العلوم الشرعية والعربية في المدارس، ويستهويهم القريض في الوقت ذاته، فينظمون العديد من القصائد في الموضوعات الدينية ـ ولا سيّما المدائح النبوية ـ والمناسبات، وقد تناولوا في شعرهم أيضاً التأريخ بالشعر، وتقريظ الكتب، ومدح الرؤساء والحكام، ورثاء الاعلام والأصدقاء ممّن غيّبهم الموت، وعايشوا أمّتهم في سرّائها وضرّائها وعبّروا عن قضاياها وطموحاتها، واستبشروا خيراً بالدستور حين صدوره في عام ١٩٠٨، وأملوا خيراً، ولكنّهم ما لبثوا أن ثاروا عليه بعد خيبة آمالهم فيه، ونقموا على الترك الذين قسوا على العرب وغمطوهم حقوقهم ولم يقيموا الإصلاحات المنشودة، وفوق ذلك كلّه حاربوا اللغة العربية، وجعلوا اللغة التركية وحدها هي اللغة الرسمية في بلاد العرب الواسعة، حيث سيطر عليهم التعصّب للطورانية الغبية التي استعبدت الشعوب، ممّا أدّى إلى الثورة العربية، التي تمكنت بدورها من الإطاحة بهذا الحكم...

وقد اعتبر بعض الأدباء الفلسطينيين النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميقاتاً لنشأة الشعر الفلسطيني[٢]، وإنّي أوافقهم الرأي لأن صورة الشعر قبل ذلك كانت رديئة مسفّة في الأغراض والمعاني والأساليب، والأدب كان ضعيفاً مهلهلاً مُتَّسماً بالمحاكاة والتقليد، ولا يخرج في مضمونه عن المدح

(١) حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص ١٢٥.

(٢) كامل السوافيري: الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني، ص ٨٥. وعبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص ١٢١.

والرثاء، والتهاني، وكانت صياغته نوعاً من أدب عصر الانحطاط، الذي تقوم مادته على السجع والجناس والتكلّف والركاكة الإنشائية، التي انحدرت به إلى دَرْمَك[1] العافية. وقد أكد أنيس المقدسي أنّ هذه الحال كانت تسود بلاد الشام ـ ومنها فلسطين ـ حتى منتصف القرن التاسع عشر، حيث أخذ الأدب يستيقظ مع يقظة العالم العربي من سباته الاجتماعي والفكري، فبدأ بالتخلص من الركاكة التي غشيت النظم والنثر ثم ضبطت قواعد اللغة، وأخذ روّاد النهضة الحديثة يتحرّرون من قيود الصناعة البديعية في أواخر القرن التاسع عشر، وخطوا بذلك خطوة مهمّة بفضل الصحافة والطباعة والمعاهد العصرية، وتعتبر كل هذه الجهود توطئة لنهضة القرن العشرين، التي لم تكن ثورة مفاجئة أو صرحاً كبيراً وجد من العدم[2].

وشهدت بلادنا في الثلث الأول من القرن العشرين التحرر من قيود الصناعة البديعية، وإحياء الأساليب العربية الكلاسيكية، وهجر المواضيع القديمة واستيحاء الخيال من الطبيعة وروح العصر، ثم التفنن في أساليب النظم والنثر، وأخذت تبرز الشخصيات الأدبية بروزاً أوضح وأشدّ، ومن شعراء القرن العشرين من بدأ حياته الشعرية في القرن الماضي واكتملت في هذا القرن، ومنهم من نشأ في القرن العشرين.

ومن الفئة الأولى: أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، خليل مطران، جميل الزهاوي، ومعروف الرصافي[3]، ومن هؤلاء في فلسطين: الشيخ يوسف النبهاني، خليل السكاكيني، إسعاف النشاشيبي، اسكندر الخوري البيتجالي،

(١) الدَّرْمك: دقائق كلّ شيء. والدّرمك: التراب الناعم أو الدقيق الأبيض. (المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٨١).

(٢) الدول العربية وآدابها، ص ١٨٧، ١٩٥ و٢٠١. المطبعة الأميركانية، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٣٩م.

(٣) المصدر نفسه.

الشيخ سليم أبو الإقبال اليعقوبي وغيرهم.

ومن الفئة الثانية: علي محمود طه، عمر أبو ريشة، نزار قباني، الأخطل الصغير «بشارة الخوري»، إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، أبو سلمى، ومحمود درويش.

إنّ منزلة الشعر قديماً وحديثاً كبيرة، لما لهذا الفن من فنون القول من سلطان عند العرب لا ينازعه إياه فن آخر، وهذا الاهتمام الكبير بالشعر الذي يرتبط بكل مرافق الحياة جعله سابقاً في نهضته لأي فَنٍّ آخر.

ويرى كامل السوافيري أن فترة السنوات السبع (١٩١٨ ـ ١٩٢٥) تعتبر مرحلة انتقال مهّدت للنهضة في فلسطين، وبمقدمتها نهضة الشعر الفلسطيني، والتي برزت ماثلة للعيان ابتداء من الربع الأول من القرن العشرين، لأن بذور النهضة نبتت في خلال هذه الفترة، ثم اكتملت في الشعر بعدئذ العناصر الفنية للشعر الجيد، وبات تعبيراً صادقاً عن وجدان الشاعر وإحساسه، وانفعالاً لوقع الأحداث على قلبه[1]، ولم تعد تمر مناسبة إلاّ ووفاها حقها من الشعر الصادق المطبوع، دون وجل من حاكم، أو ممالأَة لظالم، أو تهرّب من واجب، وانسجام مع إحساس وهدف.

وليس مطلوباً أن نتتبع كل من نظموا شعراً، أو أبدوا قصيداً قبل فترة بحثنا، ولكننا سنكتفي بتقديم نماذج لأَعلام الشعر البارزين الذين تجاوزت شهرتهم فلسطين إلى الأقطار العربية، ثم نبدي رأينا فيها. ومن هؤلاء: الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، والشيخ سعيد الكرمي، والشيخ علي محمود الريماوي، والشيخ سليم اليعقوبي، والشيخ سليمان التاجي الفاروقي.

---

(١) الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص ١٦، ١٧، ٨٥ و٨٦.

نبدأ بالشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني[1] الذي ظفر بشهرة واسعة لغزارة شعره، وكثرة مؤلفاته في الحديث والتصوف وعلم الكلام ومصطلح الحديث، وأكثر ما اشتهر به المدائح النبوية. وفي همزيته الألفية المسمّاة «طيبة الغرّاء في مدح سيِّد الأنبياء ﷺ»[2] التي وازنها بهمزيَّةِ الإمام الأبوصيري المسمّاة «أم القرى في مدح خير الورى» يقول النبهاني: [الخفيف]

نُورُك الكُلُّ والوَرَى أجزاءُ ... يا نبياً من جُنْدِهِ الأَنبياءُ
رُوحُ هذا الوجودِ أَنْتَ ولولا ... كَ لدامتْ في غَيْبها الأَشياءُ
مُنتهى الفضلِ في العوالمِ جمعاً ... فَوْقَهُ من كَمَالك الابتداءُ
لَمْ تَزَلْ فوقَ كلّ فوق مجداً ... بالترقي ما للترقي انتهاءُ
جُزْتَ قَدْراً فما أمامَك خَلْق ... فَوْقَكَ اللهُ والبرايا وراءُ
خَيْرُ أرض ثَوَيْتَ فهي سماء ... بِكَ طالتْ ما طاوَلَتْها سَمَاءُ
يا رعى الله طيبة مِنْ رياضٍ ... طابَ فيها الهَوى وطابَ الهواءُ
شاقَني في رُبوعِها خيرُ حيّ ... حلَّ لا زينب ولا أسماءُ
وَعَدَتْنِي نَفْسي الدنوَّ ولكنْ ... أَيْنَ منّي وأينَ مِنْها الوفاءُ[3]

فهو يرى أن الأنبياء من أنصار النبي محمد ﷺ، ويرى أيضاً أنّ

---

(١) شاعر، أديب، من رجال القضاء. نسبته إلى «بني نبهان» من عرب البادية بفلسطين. ولد في قرية اجزم في لواء حيفا سنة ١٨٤٩م، وتوفي فيها سنة ١٩٣٢. درس في الأزهر مدة سبع سنوات، له مؤلفات كثيرة، من أشهرها: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ـ أربعة أجزاء. (الزركلي ـ الأعلام: ج٨ ص٢١٨. والعودات ـ يعقوب (البدوي الملثم): من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص ٦١٥ ـ ٦٢٢. جمعية عمال المطابع التعاونية، عمّان ١٩٧٦م)

(٢) المطبعة الأدبية، بيروت، سنة ١٣١٤هـ.

(٣) طيبة الغراء، ص١ ـ ٢. والنبهاني ـ يوسف بن إسماعيل: المجموعة النبهانية للمدائح النبوية، مج ١/ ص٢٠٤ ـ ٢٠٥. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

النبيَّ ﷺ متفوق على كل مجتهد، وأقام في خير أرض فارتفعت سماؤها فخراً به، وما ارتفعت عليها سماء، فهاج النبهاني الشوق إلى ربوعها التي حلّ فيها خير مخلوق، ويتمنى زيارتها والوفاء بوعده.

ويمضي فيها حتى يتمّ ألف بيت، وقد ضمنها سيرة الرسول ﷺ.

ويذكر كامل السوافيري أنها امتازت بحسن التقسيم والترتيب، حتى صارت بفضل الله فريدة في بابها، حرية بأن تدرس وتحفظ من قبل من يهمهم مدح الرسول ﷺ ومعرفة سيرته وشمائله وفضائله ومعجزاته[1].

ثم يحيي المدينة المنوّرة والبقيع والمسجد الحرام فيقول: [الخفيف]

ليت شعري كيف الوصول إلى ... طيبة وهي الحبيبة العذراء
حيّ عنّي البقيع والسفح والمسـ ... ـجد حيث الأنوار حيث البهاء
حيث روح الأرواح حيث جنان الـ ... ـخلد حيث النعيم والنعماء
حيث يثوي محمد سيِّد الخلـ ... ـق وفي بابه الورى فقراء
هو حيّ في قبره بحياة ... كلّ حيّ منها له استملاء[2]

ويمتدح أمانة الرسول الملقب بـ «الأمين»، و«الكِتاب «القرآن» الذي أنزل الله عليه، فأصبح حجة تغني عن كل حجة، ومعجزة من أعظم المعجزات التي تدل على وحدانية المولى وقدرته وعلمه وعظمته، فيقول: [الخفيف]

لقَّبوه الأمين من قبل هذا ... وقليل بين الورى الأُمناءُ
بكتاب من المليك أتاهم ... كل لفظ بصدقه طغراءُ[3]

---

(١) الأدب العربي المعاصر في فلسطين، ص ٣٩.

(٢) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، مجلد١/ص ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠.

(٣) المليك من أسماء الله تعالى: الطغراء علامة الملك على كتبه الدالة على صحة نسبتها اليه.

حجة الله فوق كل البرايا فيه عن كلّ حجة إغناءُ
كل علم في العالمين فمنه عنه فيه له عليه ارتقاءُ
غلب الكلّ بالبراهين لكن بعضهم غالب عليه الشقاء[1]

ومن قصائده الوطنية قصيدة مطولة نظمها بعد عودته من استانبول، مدح بها أبا الهدى الصيادي في أيام السلطان عبد الحميد ثم صوّر الهوان والزراية التي يلقاها العربي في عاصمة الخلافة الإسلامية، ومنها قوله: [الطويل]

ويمّمت دار الملك أحسب أنها إلى اليوم لم تبرح إلى المجد سلّما
فألفيتها قد أقفرت من كرامها ولم يبقَ فيها الفضل إلا توهّما
وألفيت مثلي أمّة عربية يرى القوم منها أمة الزنج أكرما
وما نقموا منّا بني العرب خلّة سوى أن خير الخلق لم يك أعجما[2]

وقد عدّه الأمير شكيب أرسلان «من أشعر شعراء العصر»[3]، وله قصائد مدح بها الكبراء في صباه، واعتذر عنها بأن «الشعر صنعة لاظهار المهارة والحذق، لا للإخبار والصدق»[4].

ومن شعراء هذه المرحلة الشيخ سعيد الكرمي[5]، الذي اتجه اتجاهاً

---

(١) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، مجلد١/ ص٢٢٤.
(٢) ناصر الدين الأسد: الشعر الحديث في فلسطين والأردن، ص ١٨.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الزركلي: الأعلام، ج٨، ص١٨.
(٥) ولد بمدينة طولكرم سنة ١٨٥٢م، وتلقى العلم في الأزهر الشريف. عمل مفتشاً للمعارف، ثم مفتياً، ثم عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، فنائباً لرئيس المجمع، ثم قاضياً ورئيس مجلس المعارف. وافته المنيّة سنة ١٩٣٥. نشر آثاره في الأدب واللغة والحضارة، ولم يبق منها إلاّ أبحاث في بعض المجلات وفي كتب ابنه عبد الكريم «أبي سلمى». (يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص ٥٢٦ ـ ٥٣٠. وكامل السرافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين، ص ٤١ ـ ٤٢).

وطنياً مناضلاً، يعتبر من الرعيل الوطني الأول، إذ وقف في طليعة الذين تطوعوا لانقاذ الوطن من براثن الأتراك والمستعمرين. ولما ذرّ قرن النهضة العربية في أواخر العهد العثماني انتمى إلى «حزب اللامركزية» العثماني. وهو من أحرار العرب الذين حكمهم جمال السفاح بالإعدام، ثمّ أُبدل حكمه بالمؤبد لشيخوخته، وبعد سنتين وسبعة أشهر من السجن أُفرج عنه.

كان حجة في العلوم الشرعية والفقهية، فعهد إليه بالافتاء في طولكرم ثمّ بالاردن.

وعندما سجن الشيخ سعيد الكرمي في عاليه بلبنان زوراً وافتراء، لاقى هناك الجور والهوان، فأنشد شعراً حاراً، ونذد بالمجلس العرفي بموشح طويل بليغ جاء فيه قوله: [الرمل]

إنّما حيَّر فكري عجبا ... أنّهم قد جرّموا مثلي بري
والذي لفّق عني كذبا ... صلبوه مذ رأوه مفتري
ويلهم لو لم يخافوا العطبا ... من سهام الليل وقت السحر
فدعا المظلوم إن جدّ السرى ... ليس ينجي منه جدّ الهرب
وترى الظالم مهما استكبرا ... يأته الموت بأدنى سبب
ظلموا والله فيما حكموا ... حين ألقوني بسجن أبدي
كذبوا والله فيما زعموا ... ليس في العالم شيء سرمدي
ويلهم إذ أنهم ما علموا ... أنَّ مولاي غدا معتمدي
وهو لا يبغي لظلم مظهرا ... ويفاجيء أهله بالنوب
وترى الحال سريعاً غيرا ... من عناء لصفاء معجب
وتعجب للذي قد عملوا ... من فعال ذكرها يبكي الجماد[1]

(١) يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص ٥٢٧. وعبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص ١٧٢.

ويلهم كم من بريء قتلوا واستباحوا نهب أموال العباد
وعن العدل بقصد عدلوا وإذا هم كل يوم بازدياد[1]

وهكذا بدأ الشعر يتجه إلى أغراض جديدة مبتعداً عن التركيب التقليدي للقصيدة القديمة، وخير دليل على ذلك هذا التغيير الذي نراه في قافية القصيدة الآنفة الذكر، وهذا التقريع للظالم وتذكيره بالموت وعقاب الله له.

ودحضَ المظلوم أكاذيب الظالم واعتداده بدعم الله وعونه، واعتماده على ربه الذي يفاجيء الظالمين بالانتقام، ويفرج الكرب عن المكروبين فتصفو أيامهم، كل ذلك مظاهر جديدة لنوع من حرب الشعراء، من خلال الشعر الوطني، للمحتل المستبد حتى تتحقق للشعب حريته واستقلاله. ويشكل هذا بداية لمرحلة جديدة أطلت على بلادنا.

ومن هؤلاء الشعراء أيضاً الشيخ علي بن محمود الريماوي[2] الذي درّس اللغة العربية والفقه بعد أن نهل من الأزهر الشريف. وصفه خير الدين الزركلي بقوله: «شاعر فلسطيني مجيد، علت له شهرة قبيل الحرب العامة الأولى، وفي خلالها. . . . وكان قد كتب لي أنه عامل على جمع ديوان شعره، ولعلّه أكمله»[3].

---

(١) عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص ١٧٣.

(٢) ولد في «بيت ريما» قضاء رام الله سنة ١٨٦٠م، تلقى العلم في الأزهر الشريف، وفي مصر اشتهر بقرض الشعر وارتجاله في مختلف المناسبات. ولمّا عاد عيّن مدرساً للغة العربية والفقه في إحدى مدارس بيت المقدس الأميرية، وبعد صدور الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وإطلاق الحريات أسهم في تحرير عدد من الصحف والمجلات التي ظهرت في فلسطين بما نشر من مقالات وما نظم من قصائد. ومن هذه الصحف: «الإنصاف»، و«بيت المقدس» و «النجاح» و «القدس لشريف الرسمية». ومن المجلات: «المنهل المقدسية». توفي بعد إصابته بنزلة صدرية في شتاء سنة ١٩١٩م. ولم يبق من شعره إلا النزر القليل. تصرّف في فنون القول، وأطال عدداً من قصائده حتى بلغت الواحدة منها مائة بيت (يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص ٢٢١ ـ ٢٢٢. والزركلي: الأعلام مج ٥ ص ٢٠).

(٣) الأعلام، مجلد ٥/ ص ٢٠.

وفي سنة ١٩١٤ شاهد مع الأهلين ولأول مرّة طيارة تحلّق في سماء القدس ثم تهبط هناك، وكان يقودها الطيار الفرنسي «مارك بونيه»، فأنشد قصيدة طويلة بهذه المناسبة سمّاها «إحدى عجائب العصر» قال فيها: [الخفيف]

طار في الجوّ فاستثار العقولا ... وانتهى للسماء إلا قليلا
طار كالنسر أي رويداً رويداً ... ثم رام الفضاء ميلاً فميلا
وصل الشام من بلاد فرنسا ... في ثلاثٍ فهلّلوا تهليلا
مرّ كالبرق بالفرات فبينـ ... ـأن تلفّت كان أم النيلا
ليس في العلم مستحيل ولا ... صحّ لقوم أن يحصروا التفضيلا
إيه يا علم ما أحيلاك لولا ... أنني غاضب عليك طويلا
إنما أنت للحياة فلم أنـ ... ـت تبيد الورى قبيلاً قبيلا
إنما أنت للسلام فلم أنـ ... ـت لهذي الحروب كنت الرسولا
هذه منك في الورى سيئات ... قيل هذا فهل ترى تأويلا
قال هذا مني صحيح ولكن ... إن طبع الوجود ما قد قيلا
أنا نور أزلت كلّ ظلام ... وكشفت المعلوم والمجهولا
قام روسو باسمي وقام ... شكسبير وكلّ يهدي إليَّ السبيلا
أوما قد فتحت بال المعالي ... أوما قد أنرت هذي العقولا
بي هذا الإنسان أصبح إنساناً ... قؤولاً كما يشاء فعولا
سوف يلقى المريخ يوماً فيمسي ... عند سكانه الكرام نزيلا[1]

كان هذا وصفاً جميلاً للطائرة، وارتفاعها في الجو كثيراً، وقد شبهها الشاعر بالنسر الذي ينطلق بطيئاً في سرعته، وما يلبث يضاعفها حتى يجوب الفضاء كالبرق، فيقطع المسافة بين فرنسة وفلسطين بثلاث ساعات، بعد ذلك

(١) النفائس العصرية، القدس، الجزء الأول، السنة السادسة ١٩١٤م، ص ٥٢. وعبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص ١٩٧.

يعتب على العلم لأنه هدى الإنسان إلى صنع السلاح الذي تباد به الناس، فيردُّ عليه العلم رداً لطيفاً مقنعاً، وتصبح هذه المساجلة تعبيراً منطقياً عن رأي الطرفين.

وقد جاء هذا النموذج الشعري مغايراً للشكل التعبيري التقليدي، وبلغة مبسطة سليمة، وأسلوب مشوّق متسلسل.

الشاعر الرابع هو الشيخ سليم اليعقوبي[1] الذي تكنّى بـ (أبي الاقبال). أيّد الحكم العثماني، ومدح الخليفة، وعارض الانتفاض عليه. طوّف في آفاق العالم العربي، وأكثر من زيارته لمصر، وله فيها صداقات وثيقة بأعلام الأدب والشعر، وكان في طليعة الشعراء الذين قاوموا بشعرهم الأحلام الصهيونية المسماة (الوطن القومي اليهودي)، وأشاد بكفاح أبناء فلسطين، والثورة الكبرى سنة ١٩٣٦، واستنهض الهمم للجهاد ضد الانتداب والصهيونية.

كان يطيل نَفَسَه في الفخر و«الحميديات» بحيث تتجاوز القصيدة الواحدة منها تسعين بيتاً، ويتناول فيها القيم التقليدية الموروثة.

وممّا قاله في تهنئة السلطان بالنجاة من مكيدة الأعداء: [الطويل]

نجوت فخابت بالنجاة جناة ... بغين وهل بالبغي ساد بغاة
أرادوا بك النكباء لكنما الذي ... براك أَبَى أن تنزل النكبات

---

(١) ولد بمدينة اللد سنة ١٨٨٠م، وتعلم بها ثم بالأزهر الشريف. بعدئذ عيّن مدرساً في جامع يافا، فمفتياً لها. كان شاعراً كثير النظم، له علم بالفقه والأدب. نعت بحسّان فلسطين، ولقّب بـ(أبي الإقبال). توفي بمكة بعد تأدية مناسك الحج سنة ١٩٤٦م. له عدة مؤلفات أهمها: ديوان «حسنات اليراع»، وديوان «النظرات السبع»، و«حكمة الإسلام»، و«المنهج الرفيع في المعاني والبيان والبديع» و «حسّان بن ثابت». (الزركلي: الأعلام مج٣ ص ١١٧. ويعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص ٦٧٢ ـ ٦٧٥).

وما عرشك المرفوع إلا موطّداً بنصر لديه من لدنك ثبات[1]

وإنه لمن المستغرب أن يربط الشيخ سليم نفسه بتأييد هذا الحكم البائد، وهو يرى المظالم والفساد والتأخر والاستبداد، ولكن يبدو أنه كان يعدُّ نفسه ليكون شاعر السلطان كما كان شوقي شاعر الخديوي.

وتعدّدت قصائده في الفخر واعتزازه بنفسه وشعره إلى حد أنه وصل بهذا الاعتزاز إلى تفضيل شعره على سائر الشعر في كل العصور، إذ يقول في قصيدة حماسية عدد أبياتها (٨٩) بيتاً، وعنوانها: «أنا والدهر وصروف الحادثات»: [الطويل]

أدير به عذب القريض وإنني لعذب قريضي دون غيريَ منبع
وهل في زماني شاعر وابن شاعر سواي إذا ما انقاد للشعر مسمع
تطيع لآليه يراعي وإنها لمثل يراعي من بناني أطوع
فأين «المعرّي» و«امرؤالقيس» من فتى له الشعر كالعضب المهند طيّع
وأين «أبو تمام» مِنّي، وشعره كليل، وشعري دونه الصبحُ يسطع
إذا قلته يشدو يراعي بآية فيطرب دهري حينما الدهر يسمع[2]

وقد عاصر اليعقوبي الشيخ يوسف النبهاني ومدحه، ومن مديحه له قوله: [البسيط]

ليوسف الفضل لا للقائمين على هدم الشريعة من قاصٍ ومن دانِ
فصفه بالعلم لا تخش العداة وقل إن ابن هانىء والنبهاني سيّانِ
إن ساءني أدبي أو حطّ بي حسبي أو حاربتني صروف العالم الفاني

(١) ديوان حسنات اليراع، ص ١٩ ـ ٢٣. مطبعة التقدم بمصر، د.ت. وعبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص ١٣١.

(٢) سليم اليعقوبي: ديوان حسنات اليراع، ص ٣١. ويعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص ٦٧٣.

هزّزت فيه يراعاً قام يشكره … شكر الرياض نداها الحاسد الثاني[1]

وحين وقعت كارثة دنشواي بمصر سنة ١٩٠٦[2] قال: [الخفيف]

قُلْ لمن يألف الهدى والرشادا … ويودّ الاسعاد والإرشادا
خلّ هذا فليس في مصر إلاّ … ما يشقُّ القلوب والأكبادا
كيف لا تنزل الكوارث رغماً … وعداة الإصلاح عادوا البلادا
زعموا الودّ بالخداع إلى أن … منحتهم يد الزمان الودادا
إن شأن الوداد يورث وداً … مثلما البغي يورث الأحقادا
أين من يرحم اليتامى ويولي … (دنشواي) الإسعاف والإسعادا
ما الذي تفعل الأرامل فيها … هل تربي الأرامل الأولادا
علّ عدل الأمير يقتصّ ممّن … أوسعوا الناس قسوة واشتدادا[3]

بدأ الشيخ اليعقوبي مناشدة العقلاء والراشدين بأن يخلوا سبيل أهل مصر كي يتفرغوا للتغلب على همومهم وظروف حياتهم التي تشقُّ القلوب والأكباد، ثم ذكَّر السلطات الإنكليزية الحاكمة أنه مثلما كسبوا الودّ بالخداع، فإن هذا البغي والظلم سيورثان الأحقاد. وطلب الرحمة والمساعدة لليتامى والمصابين، وهذا أمر جميل، ولكن المستغرب أن يرجو الخير من الأمراء المستبدّين الذين هم أصل البلاء ومصدر الشرّ كله.

ومن الأغراض التي طرقها (النبويات)، وجعلها في خاتمة ديوان

---

(١) ديوان حسنات اليراع، ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) اصطاد بعض ضباط الاحتلال الإنكليزي يومئذٍ عدداً من حمام بلدة دنشواي، وأصيب بعض الأهلين، فاصطدموا بدورهم بالإنكليز، فأصيب بعضهم وقتل بعضهم الآخر، فانتقم اللورد كرومر منهم بصورة وحشية فأعدم أربعة، وجلد وحبس ثمانية، وجرى كل ذلك أمام أهالي البلدة ذاتها. وكان لهذه القسوة أثرٌ كبيرٌ أثار أنفس المواطنين، وبمقدمتهم الشعراء والأدباء. (إبراهيم ـ حافظ: ديوان حافظ إبراهيم، ج٢، ص٢٠. طَبَعه وصححه أحمد أمين، أحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، بيروت ١٩٦٩م).

(٣) سليم اليعقوبي: ديوان حسنات اليراع، ص ٦١ ـ ٦٢.

حسنات اليراع، واتخذ التخاميس إطاراً لها، كما كان يفعل كثير من الشعراء المتدينين، ومن ذلك قوله: [الخفيف]

مهد المجد للرقي العلاء وبنى ذروة السرور الصفاء
وتجلّى على القلوب الهناء مثلما أنها تجلّت ذكاء
فانجلت عن سمائها الظلماء[1]

واستمر ينظم بهذا الأسلوب والإطار ذاته جميع المعاني الدينية المألوفة، حتى تبلغ معه القصيدة اثنين وستين تخميساً.

يقول عبد الرحمن ياغي: «وهو بهذه الأغراض وبهذا الديوان يمثل المرحلة الأولى من حياة الشعر في هذا القطر خير تمثيل.. وديوانه لم يخل من اللعب بالحروف، ذاك اللعب الذي يشبه لعب الفارغين بورق الشدّة»[2]: [الخفيف]

سألوني ممّ ابتعادك عنّا ولكم في القلوب (حاءٌ وباء)
قلت ممّا جنى الرئيس على الفض ـل وأن الرئيس (فاءٌ وظاء)
فاعذروني إذا ابتعدت فإني رغم أنف الزمان (حاءٌ وراء)[3]

وهذه الأغراض فضلاً عن الإغراق في علمي المعاني والبديع، وفضلاً عن التكلّف والتصنيع، كانت بعض ظواهر النهضة في البلاد العربية، ثم أخذت تنحسر تدريجاً...

ويبدو لنا أنه مضى في شعره متعثراً حيناً ومصيباً حيناً آخر، وبدت في شعره صور باهتة حتى في تأبين ابنتيه: فاطمة ونعمة، فجاءت أقوالاً مملولة ليس فيها حرارة المصاب، فضلاً عن طول قصائده بشكل عام...

---

(١) سليم اليعقوبي: ديوان حسنات اليراع، ص ٧٧ ـ ٨٧.
(٢) حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص ١٣٥.
(٣) سليم اليعقوبي: ديوان حسنات اليراع، ص ٦٦.

والشاعر الخامس هو الشيخ سليمان التاجي الفاروقي[1] الملقب ببدوي فلسطين. خاطب السلطان محمد رشاد ـ بعد تَوَلّيه العرش وإعلان الدستور وغمطه حق العرب وعدم اختيار واحد منهم في الوزارة التي تألفت قبيل الحرب الأولى ـ بلهجة قوية مدافعاً من خلالها عن حقوق العرب، معدّداً مناقبهم وفضلهم على الأتراك العثمانيين، وندلل على ذلك بأبيات من قصيدة بلغت نحو سبعين بيتاً حيث يقول: [البسيط]

العرب لا شقيت في عهدك العرب ... سيوف ملكك والأقلام والكتب
هم الجبال فما حمّلتهم حملوا ... لكن إذا سُمتهم ضيم النفوس أبوا
سادوا فلم يستبح إنسانُ دولتهم ... وديل منهم فما هانوا لما سُلبوا
كانت ربيعاً من الأيام دولتُهم ... ومعرضاً راجَ فيه العلمُ والأدب
وكلُّ فضل أتى فالعرب مصدره ... بل أيّ فضل أتى لم تحوه العرب؟
كنّا نعلّل بالدستور أنفسنا ... بفارغ الصبر ذاك اليوم نرتقب
حتى إذا جاء لم يُحْدِث لنا حدثاً ... ولا استُجِيبَ لنا في مطلب طلب

---

(١) ولد في الرملة بفلسطين سنة ١٨٨٢م، وتحدّر من أسرة عربية عريقة في نسبها. فقد بصره وهو في التاسعة من عمره، وحفظ القرآن الكريم قبل السنة العاشرة مع علم النحو على الشيخ البسيومي الكبير. درس في الأزهر الشريف العلوم الفقهية واللغوية والتاريخية وغيرها. أتقن التركية والفرسية والإنكليزية، وعمل في تفسير القرآن، وتميّز بخطبه الارتجالية ونظمه القصائد ارتجالاً في كثير من الحالات. حاز على شهادة الحقوق من استانبول، وزاول المحاماة مدافعاً عن الحقّ والمظلوم واليتيم. أصدر سنة ١٩٣٢ جريدة «الجامعة الإسلامية»، وراح يدافع من خلالها عن حقوق عرب فلسطين مقاوماً تهويد فلسطين، وبعد وقوع النكبة الأولى عام ١٩٤٨م هاجر إلى الأردن، فعاد إلى إصدار جريدته...، وما لبث أن أوقفها المسؤولون لصراحته، ثم عُيّن (عيناً) في مجلس الأعيان الأردني، وبعد فترة وجيزة عزل لجرأته. توفي سنة ١٩٥٨م. وصف بأنه وعاء العلم والفضل، ومثال النضال والتضحية في سبيل عروبته وإسلاميته، وأنه عنوان صيحة الحق، إذ وقف علمه وأدبه وشعره وقلمه على خدمة العرب. له قصائد نارية مرتجلة، ولكنها فقدت بسبب النكبة الفلسطينية. من آثاره كتاب: «الذرّة في خدمة السلام». (يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص ٥٠١ ـ ٥٠٤).

هذي الوزارات كم من مرّة نشأتْ فلم ينل واحداً منّا لها سبب
سياسة العنف لا تجدي وإن نفعت فالحبل إنْ شدّ يوماً سوف يَنْقَضِب
فاستوصِ بالكلّ خيراً وارعَ ذمّتهم وقفْ بِعَدْلِكَ فيهم حيثما يجب
والعرب أكرم شعب أنت تحكمه ولن تضيّع في أيامك العَرَب[1]

فهو يبدأ القصيدة بالدفاع عن العرب في أنهم سياج الدولة والموفون بالعهد، وينتقل إلى الفخر بهم باعتبارهم ذوي الأمجاد الغابرة والأيادي البيض على الحضارة العالمية، ويشير بعدئذ إلى حرمانهم من دخول أية وزارة رغم كثرتهم وتأييدهم للحكم، ويلمح إلى خطورة سياسة العنف، لأن العنف سلاح ذو حدّين، فقد يرتدّ على الظالم ويودي به، وهذا ما كان مصير هذا الحكم في النهاية. ويعود إلى توصية السلطان برعيته خيراً ودون تمييز، وأن يحفظ للعرب كرامتهم، لأن العدل أساس نجاح الملك.

ونلاحظ أنه تنقل في قصيدته بين معان عديدة في لهجة عتابية ودفاعية هادئة، وليست باللهجة المتحدية الثائرة، وكأنه رأى أن ذلك أقرب إلى الإقناع وانتزاع الحقوق منه إلى الإفراط بالتحدي والتقريع والثورة، لأن ذلك قد يؤدي إلى نتائج عكسية.

ثم يخاطب النواب العرب في مجلس النواب العثماني، فيوجّه إليهم قصيدة عنوانها «الأمة العربية»، وكأنه يخاطبهم بلسانهم، ومطلعها: [الطويل]

بيمن نواصيكم عقدت الأمانيا ورجّيت أن أعلو لكم من علائيا
بنيَّ انهضوا واحيوا حياة صحيحة حياةً تعيد المجدَ للعُرب ثانيا
يرون سقوط العُرب ضربة لازبٍ وأمراً ـ أراد الله لا شكّ ـ ماضيا

(١) يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤. والطرابلسي ـ أمجد: محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام، ص ٣٩ ـ ٤٠. معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧م.

أبغياً علينا وافتئاتاً وأثرةً ... ويرجون منّا بعد هذا تغاضيا؟
هَوَت أُمُهم ما بالهم ينكرونني ... وهم إن حَووا مجداً فمن بعض ماليا
ألا قُلْ لهم لو أنصفوا أين مجدهم؟ ... وذاك البناء الضخمُ من كان بانيا؟
ومن ذا الذي قاد الكتائب وارتمى ... إلى ما وراء الصين في الشرق هاديا

وبعد أن يحدثنا عن أمجاد العرب يلتفت ثانية إلى النواب فيقول: [الطويل]

ألا نهضة شرقية عربية ... تزلزل أقواماً وتوهي رواسيا
وتقضي على كل امتياز وأثرةٍ ... ويصبحُ كلّ الناس فيها سواسيا
ألا رجلاً ذا مرّةٍ فيلمكُم ... ويرأبُ صدعاً فيكم بات واهيا
يقومُ فلا يرتَدُّ أو يبلغ المُنى ... ويقضي ولكن يبعث السيف قاضيا
ألا ليتَ شعري هل أرى العرب أمة ... يساند بعضٌ بعضَها لا تجافيا
إذا صاح في وادي الكنانة صائحٌ ... يبيت له الرّبع الشآميُّ داويا
وإن أنَّ في الصقع اليمانيُّ مثقلٌ ... أجاب له القطر الحجازيُّ باكيا[1]

فهو يدعو إلى نهضة عربية تقضي على الامتيازات وتنشر العدل والمساواة، وهو يقلّد حافظ إبراهيم في قوله: [البسيط]

إذا ألمّت بوادي النيل نازلة ... باتت لها راسيات الشام تضطرب[2]

كما يقلّد أحمد شوقي في قوله: [البسيط]

ونحن في الشرق والفصحى بنو رَحِمٍ ... ونحن في الجرح والآلام إخوان[3]

---

(١) أمجد الطرابلسي: محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام، ص ٤١. ويعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص ٥٠٤.

(٢) إبراهيم ـ حافظ: ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصحّحه أحمد أمين، أحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، ج١، ص٢٦٩. بيروت ١٩٦٩م.

(٣) عطوي ـ فوزي: أحمد شوقي أمير الشعراء: دراسة ونصوص، ص ٣٦٩، دار صعب، بيروت، ط٣ (١٩٧٨م).

وفي سنة ١٩٢١م عُقِد في مدينة «بال» بسويسرة مؤتمر صهيوني شهير، فنظم الشيخ سليمان الفاروقي تخميساً حذّر فيه من أطماع الصهيونية العالمية في فلسطين وشقيقاتها العربيات، ومنه قوله: [الخفيف]

أيها الشعب نهضة وبدارا أيها الشعب أوسعوك احتقارا
هبّ يا شعب واصلهم منك نارا هبّ وانفض عن مقلتيك الغبارا
وأرِ القوم نهضةً عربية
قُمْ قياماً يا شعب لا تتوانَ لا تَهُنْ لا تَهُنْ كفاك هوانا
إن هذا السكوت أصل بلانا إن هذا الونى وذاك الكيانا
هاج تلك المطامع الوحشية
غرّهم صبرنا عليهم زمانا حاولوا سلبنا البلاد امتهانا
فإذا لم نمت ولم نتفانَ وإذا لم نُقِمْ لهم برهانا
سلبونا واللهِ تلك البقية[1]

لقد كان الفاروقي، كما نلاحظ، صريحاً في قول كلمة الحق، وجريئاً في الدعوة إلى الثورة بعد الصبر الطويل، ولكن دون جدوى، ولعمري إنه كان ثاقب النظر، ومصيباً في التوعية واستنهاض الهمم، حيث لا يسلم الوطن والشرف بدون التضحية بكل غالٍ ونفيس، فإمّا أن يعيش العربي حرّاً عزيزاً أو يستشهد كريماً في سبيل حقوقه، ويبقى مثالاً في العزّة والإباء والتضحية.

ونكتفي الآن بهذه النماذج من شعر بعض الشعراء الذين عاشوا في عهد الحكم العثماني، وهي تكفي لإعطاء صورة عن الشعر في ذلك العصر، ولكن دور هؤلاء الشعراء لم ينته مع انتهاء هذا الحكم، فقد عاش بعضهم سنوات تراوح بين العقد الثالث والخامس من هذا القرن، واستمروا في قرض الشعر، وربما يعتبر أفضل شعرهم ما قيل أيام الانتداب البريطاني على

(١) يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص ٥٠٤. وكامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين، ص ٥٣.

فلسطين، وأصبحوا يُعَدّون «مخضرمين» إن جاز التعبير. ذلك أنهم عاشوا في الفترة الأولى، وعرفوا عن كثب كيف خيّم التأخر والجهل والظلم والفساد على هذه البلاد، وأنشدوا الشعر، ثم شهدوا بلادنا ـ في الفترة الثانية ـ تقاوم الاحتلال الانكليزي والأطماع الصهيونية، وتبدّد ما في الأجواء من الجهالة، وأخذ الشعر عندئذ يواكب حركة النضال بل ويوجهها إلى الطريق السليمة، حيث أبدعوا القصائد الكثيرة في الأحداث والمناسبات المختلفة، وتأثروا بالنهضة ومظاهرها، وأخذوا يتلافون جوانب الضعف التي وقعت في شعرهم إبان الحكم العثماني.

وهكذا أخذ الشعر بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م يعكس الصور التي استجدّت في التقدم العلمي وتطور الصناعة، فضلاً عن الأحداث السياسية والأوضاع الاجتماعية والحركات التحررية، واستنهاض همم العرب لانتزاع حقوقهم من الحكم العثماني، ثم مقاومة الأطماع الصهيونية في فلسطين وسائر بلاد العرب، كما صوّر مظالم الشعب وأوضاعه وطموحه وتطلعه إلى مستقبل أفضل تتحقّق فيه الأماني بالحرية والسلام والأمن والتفاهم، والتقدم في مختلف المجالات، بما فيها الوصول إلى المرّيخ، والكشف عن كل مجهول حتى تعمّ النهضة بلادنا، علّها تواكب ركب الحضارة في الغرب، وكي يعود إليها مجدها التليد.

وبذلك أخذ الشعر ـ في أواخر هذا العهد ـ يبتعد عن عزلته وركاكته وابتذاله، واعتماده التكلّف والصنعة والتأريخ بالشعر، فضلاً عن انكسار الوزن، واضطراب القافية أحياناً، والانزواء في مسارب مدح السلطان والحاكم، والانغماس بالمناسبات والأغراض الضيّقة إلى الاهتمام بالثقافة وانتشار التعليم، والمطالبة بحقوق العرب، وذم الحكم العثماني، والدعوة إلى التمسّك بالأرض ومشاركة الحركة الوطنية في أعمالها، والفخر بالأمة العربية وحضارتها وأمجادها، ورثاء الأعلام والأصدقاء، وذم السفور، ومدح

العلماء والرؤساء، والترحيب بالزائرين وخاصة العلماء والأدباء والشعراء، ووصف مظاهر التقدم والتطور، والإعراب عن الأماني المكبوتة بلغة سهلة مفهومة لا تخلو من الاستعارات والمجازات والصور البيانية الموروثة، بعيداً عن الصنعة والتكلّف والغموض.

هذا من حيث الموضوعات والصياغة والموسيقى. أما من حيث الشكل فقد صبّ الشعراء شعرهم في القصيدة التقليدية ذات الوزن الواحد تارة، وفي الموشحات تارة أخرى، وأما من حيث العاطفة والخيال فقد افتقد هذا الشعر حرارة العاطفة، ودقة الإحساس وروعة الصور وتحليق الخيال لأنه لم يكن ـ في الغالب ـ نابعاً من قلوب الشعراء، ومصوراً قناعاتهم النفسية بقدر ما كان تقليداً رديئاً للسابقين وتملقاً للحكّام، واستجداء لعطفهم لغايات في أنفسهم ممّا أفقد معظمه اللمعات الشعرية، والنسمات العذبة، والنغم الجميل، والموسيقى الشجيّة، ومن ذلك قصيدة اليعقوبي في أحداث بلدة دنشواي، والتي تعد صورة باهتة قياساً إلى قصيدة حافظ إبراهيم...

لهذا كله لم يعش هذا الشعر طويلاً بالرغم من جودة القصائد القليلة التي قرضها عدد من الشعراء وبمقدمتهم النبهاني واليعقوبي والفاروقي والسكاكيني والنشاشيبي، وعلى سبيل التمثيل: أبيات النبهاني عندما زار دار الخليفة العثماني فلم يلقَ فيها المجد إلاّ توهماً، وازداد قناعة بأنه من أمة عربية مجيدة وإن كان العثمانيون يرون الزنج أكرم منها، ونلاحظ ذلك أيضاً في افتخار اليعقوبي بشعره وثورة سليمان الفاروقي على العثمانيين الذين تنكروا لحقوق العرب ونكّلوا بهم وظلموهم.

ويمكننا القول إنّ الشعر الفلسطيني بدأ في أواخر العهد العثماني يتصل بالحياة، ويعبّر عنها، ويبشّر بنهضة مشرقة في حياة المجتمع.